حول الصيغ ودلالتها فى اللغة العربية

د. احمد مصطفى عفيفى

كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

لا نستطيع القول بأن كل كلمات لغتنا العربية تحتوى على معان حديثة ، فبعض الكلمات تحتوى على حدث ، ويكون الحدث جزءا مهما من دلالتها مثل الأفعال المتصرفة الماضى والمضارع والأمر (كتب ــ يكتب ــ اكتب) وكذلك المشتقات اسم الفاعل (كاتب) اسم المفعول (مكتوب) الصفة المشبهة (كريم) ... الخ ، بل ان هناك بعض الكلمات يكون كل دلالتها الحدث مثل المصدر واسم المصدر كما فى (التكلم والكلام) (المباشرة والعشرة) . وهذه الكلمات ذات صلة وثيقة بالحدث ، فهو جزء مهم من معنى الكلمة يظهر ذلك فى تعريف النحاة لكل منها :

ــ فالفعل : ما دل على حدث مقترن بزمن .

ــ واسم الفاعل : ذلك الوصف الدال على من قام بالحدث (الفعل) .

ــ واسم المفعول : ذلك الوصف الدال على من وقع عليه الحدث (الفعل) .

ــ والصفة المشبهة وهى الوصف الدال على ثبوت الحدث لصاحبه ثبوتا عاما على سبيل الاستمرار والدوام .

وهناك بعض الصيغ تحمل الحدث وترتبط به ارتباطا قويا ويكون للحدث فيها طبيعة خاصة ، هذه الصيغ هى :

١ ــ صيغة اسم الفعل :

وهى صيغ اسمية تدل على الحدث مع انفعال وقوة فى الدلالة عليه مثل : صه مه عليكم أنفسكم دونك الحقيقة المرة ــ أف ــ

وى ـ أوه ـ هيهات ـ شتان . فهذه الكلمات على تنوع زمن حدثها فهى تدل على الحدث بقوة وانفعال ولهذا نلاحظ أن اسم الفعل الأمر تكثر ألفاظه عن مثيليه اسم الفعل المضارع والماضى ، وذلك لارتباط الانفعال بالخطاب المباشر والأمر للمخاطب غالبا .

٢ ـ التعجب :

والتعجب ـ بصيغتيه ـ يدل على حدث انفعلت به النفس . فالتعجب كما عرفه الدمامينى « انفعال يحدث فى النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه »[1] أو هو كما قال الصبان فى حاشيته « استعظام فعل فاعل ظاهر المزية »[2] وما هذا الفعل الا الحدث . أو هو كما قال البعض « شعور داخلى تنفعل به النفس حين تستعظم أمرا نادرا أو لا مثيل له مجهول الحقيقة أو خفى السبب »[3] وما الأمر النادر هذا الا الحدث الذى انفعلت به النفس واستعظمته فأصدرت هذه الجملة للتعبير عن هذا الانفعال . وذلك كما لو قلنا : ما أعظم الله : ان مطلق العظمة (حدث) ثبت لله من خلال آيات وعلامات ودلائل معينة ، وكذلك حينما نقول : ما أقدر الله على تسيير الكون ، أى مطلق القدرة لله على تسيير الكون . والتعجب انما يحدث لسببين :

١ ـ جهل سبب وقوع هذا الحدث الذى انفعلت النفس به .

٢ ـ تعظيم أمر هذا الحدث وتفخيمه لعدم معرفة فاعل الحدث أو لغرابته ودهشة النفس به .

ولهذا نجد أن فاعل الحدث الذى أثار الدهشة غير موجود دائما فى الجملة بل هو محذوف حذفا واجبا . فحينما أقول :

ـ ما أجمل الفتاة .

---

(١) حاشية الصبان جـ ص ١٦

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) النحو الوافى جـ ٣ ص ٣٣٩

انما تعنى هـذه الجملة التعجب من جمال الفتـاة ، وهو حدث لا ندرى سره هل الذى جملها هو حسـن وجهها أو حسـن خلقهـا أم حلاوة حديثها ؟ ... الخ ويمكن أن يكون كل ذلك سببا فى جمالها .

وهنـا يمكن أن يكون الفاعل أكثر من شخص لاختلاف السبب ، الى حـد أن الفتاة يمكن أن تكون مشـتركة فى الفاعليـة مع عناصر خارجيـة ، ولهذا يترك الفاعل مجهولا . ومن أجل ذلك قال النحاة : ان (ما) نكرة تامـة بمعنى شيء عظيم ، وهـذا الشيء غير محـدد يترك لخيـال القارىء .

٣ ـ افعـل التفضيـل :

وصيغة التفضيل من الصيغ التى تحتـوي على حدث له طبيعتـه الخاصـة ، فهو صيغة تدل على المشاركة والزيادة[١] فى الحدث . أو ـ كما يقول البعض ـ انه (اسم مشـتق على وزن أفعـل يدل ـ فى الأغلب ـ على أن شـيئين اشتركا فى معنى ، وزاد أحدهما على الآخر فيـه)[٢] مثل :

ـ محمد أعدل من أخيـه .

فالاثنـان اشتركا فى العدل ، ولكن محمدا زاد عن أخيـه فى اتصـافه بهذا الحدث ، دل على ذلك كلمـة أعدل ، فقد دلت أولا على مشـاركة الاثنين فى اتصافهما بحدث واحـد ، ثم دلت ثانيا على زيادة العـدل عند أحدهما عن الآخر . وينبغى أن يعلم أن (أفعـل) فى توجيهها للحدث تدل على « الزيادة مطلقـا فى كمال أو نقص » كمـا يقول الأشـمونى فى شرحه على ألفية ابن مالك[٣] وذلك كما فى أجهل

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ٢٨٠
(٢) النحو الوافى جـ ٣ ص ٣٩٥
(٣) شرح الأشـمونى جـ ٣ ص ٤٣

وأبخل . ويعنى ذلك عدم العلم وعدم الكرم ، فهو زيادة فى النقصان . ويكون هذا فى ايضاح المثالب ويطلق على ذلك تجاوزا « أفعل التفضيل » لأنه بيان لنقص لا لتفضيل ، وينبغى أن يعلم أن التفضيل ـ وكذلك التعجب ـ يكونان فى حدث قابل للتفاوت وليس شيئا خلقيا . يقول ابن يعيش عن منع التفضيل من « الألوان والعيوب » : « فأما الألوان والعيوب فان « الخليل » اعتل للمنع منه بأن الألوان والعيوب تجرى مجرى الخلق نحو اليد والرجل فكما لا تقول : ما أيداه ، ولا ما أرجله لبعده عن الفعل ، فكذلك لا تقول ما أسوده ولا ما أعوره لأنهما معان لازمة تجرى مجرى الخلق ، وكما لا يجوز ما أسوده ولا ما أعوره لا يجوز هذا أسود من هذا ولا هذا أعور »[1] .

والحق أن نص « ابن يعيش » نستطيع أن نخرج منه ببعض الدلالات المهمة وهى :

١ ـ أنه لا يمكن صياغة التفضيل من كلمة ليست (فعلا) أى لا تدل على حدث مثل : يد ، رجل ، وهذا دليل على أهمية الحدث بالنسبة لأفعل التفضيل ، اذ هو زيادة حدث فدل على أهمية الحدث بالنسبة لأفعل التفضيل .

٢ ـ أن المعانى اللازمة التى تجرى مجرى الخلق لا يجوز التعجب منها فلا يقال ما أسوده ولا ما أعوره لأن هذه الأشياء ثابتة فى الانسان أو فى الشىء هذا الشىء يظل متصفا بها غالبا ولهذا لا تعجب منها اذ لا يبحث عادة عن فاعلها لأنه معلوم فى غالب الأحوال والتعجب غالبا ما يكون مجهول الفاعل ، واذا منع التعجب منها فلا تفضيل فيها .

---

(١) شرح المفصل ج ٦ ص ٩١

وينبغى ملاحظة أنه اذا جاز صياغة التعجب منها فانه لا يقصد ذلك الانفعال والدهشة فى صيغة التعجب ولا يقصد بها أيضا معنى المفاضلة ، بل يقصد بذلك الكثرة فقط . ولهذا أباح ابن يعيش أن تقول « هو أشد سمرة منه » ولا تقول : هو أسمر من فلان الا اذا أردت معنى المسامرة « وهو أقبح عورا » ولا تقول : هو أعور من هذا ، وكذلك الألوان ، لا تقول هو أحمر من هذا وأنت تريد الحمرة ، فان أردت معنى البلادة جاز ، ولا تقول هو أبيض من البياض فان وصفت طائرا بكثرة البيض جاز . وعلى ذلك فقس »[1] .

٤ - صيغ المبالغة :

يشير ابن هشام الى أنها أوزان « محولة عن صيغة فاعل لقصد افادة المبالغة والتكثير »[2] وفى موضع آخر يذكر أنها « كلها تقتضى تكرار الفعل فلا يقال « ضراب لمن ضرب مرة واحدة »[3] ويشير ابن يعيش الى هذا النوع من الكلمات قائلا : انه « يريد به ما أراد بفاعل من ايقاع الفعل (الحدث) الا أن فيه اخبارا بزيادة مبالغة »[4] وأشار كثير من النحويين الى أن صيغ المبالغة هذه تفيد المبالغة والتكثير »[5] أى تكثير تكرار الحدث ووقوعه . هذا ما أشار اليه النحاة القدامى ، ولم تكن النظرة الحديثة بعيدة عن تلك النظرة الا بمقدار التوضيح والتفصيل حين يقول الأستاذ عباس حسن « يجوز تحويل صيغة « فاعل » - وهى صيغة « اسم الفاعل » الأصلى من مصدره الفعلى الثلاثى المتصرف الى صيغة أخرى تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة فى معنى فعلها الثلاثى الأصلى ما لا تفيده افادة صريحة صيغة « فاعل » السالفة ، مثال هذا أن تتحدث عن شخص

---

(١) شرح المفصل جـ ٦ ص ٩٢
(٢) شرح شذور الذهب ص ٤٦٨
(٣) شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٢٧٦
(٤) شرح المفصل جـ ٦ ص ٧٠
(٥) حاشية الصبان ، شرح الأشمونى جـ ٢ ص ٢٩٦

يزرع الفاكهة فتقول : فلان زارع فاكهة • فاذا أردنا أن نبين فى صراحة لا احتمال معها ، كثرة زراعته الفاكهة ، ونبالغ فى وصفه بهذا المعنى — نقول : فلان زراع فاكهة — مثلا — فكلمة « زراع » تفيد من كثرة زراعته ، ومن المبالغة فى مزاولة الزراعة ما لا تفيده كلمة « زارع » مع أن الكلمتين من فعل ثلاثى واحد هو : « زرع » وكلتاهما تدل على أمرين ، معنى مجرد ، هو « الزرع » وذات فعلته • ولكنهما تختلفان بعد ذلك فى درجة الدلالة على المعنى المجرد (أى فى مقدار قلته وكثرته وضعفه وقوته)[1] ومن المؤكد أن اسم الفاعل لا يدل على الكثرة أو المبالغة أو تكرير الحدث الا باضافة كلمة أخرى فى جملته أو يكون على سبيل الافتراض ، أما صيغة المبالغة فتفيد هذه الكثرة أو المبالغة أو تكرير الحدث الا باضافة كلمة أخرى فى مرة تلو الأخرى أو واقعا بعنف ووحشية أو يتكرر كثيرا دون عنف • لهذا فاءن طبيعة صيغة المبالغة تؤدى درجة الدلالة على معنى الحدث بشكل واضح • هذه الصيغ أشار النحويون الى أنها كثيرة والمشهور منها خمس صيغ فقط هى :

فعال	مفعال	فعول	فعيل	فعل
ضراب	مهذار	أكول	نصير	حذر
زراع	مزواج	ضروب	شبيه	مزق
قوال	محذار	حمول	سميع	عجل

وواضح من خلال ذكر الأمثلة أن بها مبالغة وتكثيرا لمعنى الحدث ، فهى كلمات لها دلالة خاصة وطبيعة خاصة فى الأداء الدلالى لحدثها •

هذه المعانى الحديثة الخاصة فى الصيغ السابقة تعطى لها طابعا خاصا فى عملها داخل السياق ، فاسم الفعل المرتجل منه والمنقول

---

(١) النحو الوافى جـ ٣ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨

يعمل عمل الفعل تعديا ولزوما ولا يصرفه عن ذلك شيء . والملاحظ أنه يسمى (اسم فعل) فهو من حيث الشكل صيغة اسمية مثل : صه ، أف ، بدليل تنوينها ولأنه صيغة اسمية كان من الممكن أن يفارق الحدث الكلمة حينما يطغى معنى الاسمية على الحدث فى الأوصاف مثل الأعلام : محمود عادل وحسن وناصر وعباس ، وكذلك الأسماء التى ليست بأعلام مثل القارعة والنازلة والقاصمة أسماء للقيامة وهى أسماء فاعلين . لكن الحدث لا يفارق اسم الفعل اطلاقا مع ملاحظة الاسمية فيها ، واذا كان المعمول فى الصيغ الاسمية العاملة عمل الأفعال لا يتقدم عليها نتيجة لضعف عملها عمل الأفعال فإن بعض النحاة أجازوا أن يتقدم معمول اسم الفعل واستشهد الكسائى على صحة ذلك بقوله تعالى : « كتاب الله عليكم »(1) ، والمعنى « عليكم كتاب الله » أى الزموه »(2) .

وقد استشهد أيضا بقول الراجز :

يا أيها المائح دلوى دونكا

انى رأيت الناس يحمدونكا(3)

فقد قدم الشاعر المفعول به (دلوى) على اسم الفعل دونك بمعنى (خذ) وان أجاز النحاة هذا مع اسم الفعل فلم يجوزوه مع الأسماء الدالة على حدث الا مع صيغ المبالغة .

والملاحظ أيضا أن اسم التفضيل والتعجب لا يرفعان الاسم

---

(1) سورة النساء : ٢٤

(2) شرح قطر الندى ص ٢٥٨ وشرح الشذور ص ٤٨٥

(3) شرح شذور الذهب ص ٤٨٥ والراجز جاهلى من بنى اسيد ابن عمرو بن تميم وقيل لجارية من بنى مازن و « المائح » هو الرجل يكون فى أسفل البئر ليستقى الماء ، اما الرجل فى أعلى البئر فيسمى المائح ، ودونكا بمعنى خذ ويلاحظ انه استخدام اسم الفعل هنا فهو يدل على الحدث بقوة ربما لأن الشاعر ظمآن .

الظاهر بل يأتى الفاعل دائما ضميرا مستترا ، يستثنى من ذلك تلك المسألة التى أطلق عليها النحويون مسألة الكحل والتى يرفع فيها اسم التفضيل الاسم الظاهر • أما معنى التعجب فى الفعل فانه يعطى للفعل طبيعة خاصة للعمل ، تناسب طبيعة المعنى الخاص الذى اتخذه فى سياقه ولهذا نلاحظ ما يلى :

١ ــ ان معنى التعجب فى الفعل اللازم يحوله الى فعل متعد لمفعول منصوب به مثل : ما أحسن السماء ، وما أجمل الفتاة ، وما أفضل محمدا ، فالأفعال حسن وجمل وفضل هى أفعال لازمة فى الأصل ولكن عند التعجب وجدناها نصبت مفعولا به فى جملتها[١] •

٢ ــ معنى التعجب فى الفعل المتعدى لمفعولين يجعله متعديا لمفعول به واحد مثل : ما أعلم أبى • فالفعل (علم) فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر ، لكننا نجده فى أسلوب التعجب هذا ينصب مفعولا به واحدا وهذا دليل على تقليل نفوذ الحدث فى الجملة بعد التطور الدلالى الذى حدث فى معنى الفعل من خلال المعنى الجديد •

وقد أشار ابن يعيش الى سبب ذلك قائلا « التعجب باب مبالغة مدح أو ذم ، وذلك لا يكون الا بعد تكرير ذلك الفعل منه حتى يصير كالطبيعة والغريزة فحينئذ تنقله فى التقدير الى (فعل) بالضم فيصير (ضرب) و (علم) كما قالوا قضو الرجل ورمو حين أرادوا المدح والمبالغة »[٢] وتعليل « ابن يعيش » هذا فى غاية الأهمية فهو يثبت أن معنى التعجب مثل معنى المدح أو الذم يقللان من نفوذ الحدث فى الفعل المتعدى ليأتى المعنى الجديد ليطغى على المعنى الأصلى ، فى الفعل فيؤدى الى تحويل الفعل المتعدى الى لازم وتقليص

(١) شرح المفصل جـ ٧ ص ١٤٤

(٢) المرجع السابق نفسه •

الحـدث فيـه ، فالأفعال المتعدية التي تحولت للمدح والذم عن طريق صياغتها على وزن (فعـل) بضم العين بعـد دخول معنى المدح أو الذم عليها تتحول الى فعـل لازم مثل : فهم الطالب ، أي أمدحـه لكثرة فهمه ومثل : علم صـديقي ، أي أمدحه لكثرة علمـه ، فالفعل فهـم الدال على المدح فعل لازم في جملته وقبل ذلك كان متعديا حين تقول : فهمت الحقيقة ، وكذلك الفعـل علم الذى كان متعديا الى مفعـولين مثل : علمت الحقيقة واضـحة ، وعنـد دخـول معنى المدح عليـه تحول الى فعـل لازم وليس متعديا ، ولهذا يظهر الفرق بين جملة التعجب مثل : ما أعلم صـديقي (تحول من المتعدى الى مفعـولين الى فعـل متعـد لواحـد) .

وجملة المدح مثل : علم صـديقي (تحول من المتعدى الى مفعولين الى فعـل لازم) .

٣ ـ وهنـاك نوع آخر يظل كما هو متعديا لمفعول به واحـد مثل : ما أضرب محمدا لأخيه . وقد أشـار ابن يعيـش الى هـذا النوع[١] .

ويلاحـظ مما سـبق أن الفعـل اللازم يصبح فعلا متعديا الى مفعول مثل ما أجمل الطبيعة ، فالفعل (جمل) فعـل لازم قبل دخول معنى التعجب عليـه وعندما دخـل معنى التعجب على الفعل في صياغته الجـديدة أعطاه هذا التطور قوة حديثة جعلته ينصب المفعول . والفعل المتعدى لمفعولين يصبح بعـد دخول معنى التعجب ناصبا لمفعـول به واحـد ، والفعـل المتعدى لمفعول به واحـد كما هو . وهذا ما نطلق عليـه « التوازن اللغـوى » فمعنى التعجب قرب المسـافة بين الأنواع الثلاثة حـول الفعل المتعدى الى مفعولين الى فعل متعد لمفعول واحد ،

---

(١) شرح المفصل جـ ٧ ص ١٤٤

واللازم الى متعد لمفعول به واحد ، والمتعدى الى مفعول واحـد بقى كما هو . أليس فى ذلك توازن لغوي وتعادل يدعو الى التأمل[1] ؟؟

أما صيغ المبالغة فحدثها ذو طابع خاص ــ كما قلنـا ــ لأنه يحمل تكثير وقوع الحدث وتكراره والمبالغة ، وهذا يعطى قوة للحدث ، ويظهر ذلك فى عمـل صيغ المبالغـة عمل الفعـل ، فبينما تحتفظ الأسـماء المشـتقة العاملة عمل الأفعـال بترتيبهامن حيث تقديمها على معمولها ، فان النحاة جوزوا تقديم صيغة المبالغة عليـه ، لهذا أورد النحاة قول سـيبويه .

« أما العسـل فأنا شراب » .

ينصب كلمة (العسل) على أنها مفعول به لصيغة المبالغة (شراب) التى تدل على كثرة الشرب وتكراره والمبالغـة فيـه . كذلك أوردوا قـول سـيبوية :

أكريم رءوس الدارعين ضروب[2] .

فكلمة (رءوس) معمول منصـوب لكلمة (ضروب) صـيغة المبالغـة ، كذلك أوردوا قول الراعى[3] :

عشية سعدى لو تراءت لراهب   بدومة تجر دونه وحجيـج
قلى دينه واهتاج للشوق انها   على الشوق اخوان العزاء هيوج[3]

---

(١) أقوم الآن باعداد دراسـة عن « التوازن اللغوى » وهى ظاهرة لفتت نظرى فى تطور بناء الكلمات والجمل وتغيرها .

(٢) الكتاب جـ ١ ص ١١١ ، شرح المفصل جـ ٦ ص ٧٠ ، حاشية الصبان جـ ٢ ص ٥٣٦

(٣) وقيل لأبى ذؤوب وهـذا شطر بيت من بحر الطويل لم يشر أحـد الى قائله على حـد علمى .

(٤) البيتان من بحر الطويل (دومة) اسم مكان وهو (دومـة الجنـدل) بين العراق والشـام « تجر » قيل جمع تاجر ، وقيل اسـم جمـع لتاجر مثل شرب صحب سـفر . والمعنى أن سـعدى من جمالها المفرط تهيج اخوان العزاء على الشوق . اخوان العزاء : اخوان الصبر .
انظر شرح ابن عقيل جـ ٤ ص ٢ ، حاشية الصبان جـ ٢ ص ٢٩٧ شرح شواهد العينى جـ ٢ ص٢٩٧ ، وشرح الأشمونى جـ٢ ص٢٩٧

فكلمة (اخوان) مفعول به مقدم منصوب بصيغة المبالغة (هيوج) وقد تقدم المعمول على صيغة المبالغة وذلك لقوة الحدث فيها .

كذلك أيضا نلاحظ أن النحاة يؤكدون أنه لا بد من وجود شرط الاعتماد في عمل اسم الفاعل والمبالغة واسم المفعول ، وشرط الاعتماد هذا يؤكد اعتماد الوصف العامل عمل الفعل على شيء قبله مثل الاستفهام أو النفي أو النداء أو المبتدأ أو أي شيء قبله بمعنى أن الوصف لا يكون واقعا في أول الكلام ويعمل عمل الفعل ، بل لا بد من أن يسبق بشيء ، وينبغي أن نلاحظ ما يلي :

حينما أراد بعض النحويين الخروج عن هذا الشرط وجدوا بيتا لشاعر من قبيلة طيئ يعمل فيه الوصف (وهو صيغة مبالغة) دون اعتماد ولم يجدوا شاهدا لاسم الفاعل أو لاسم المفعول عاملين دون اعتماد . والشاهد الذى اعتمد عليه الأخفش في الخروج على هذه القاعدة هو :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهبي اذا الطير مرت[1]

فلفظ (خبير) صيغة مبالغة على وزن فعيل رفع الفاعل (بنو لهب) دون اعتماد على شيء قبله . وأستطيع القول ان هذا الشرط يمكن — اعتمادا على ما مضى — أن تتحلل منه في عمل صيغ المبالغة وذلك بسبب قوة الحدث فيها ، وخاصة أننا حينما نستعرض الشواهد الخاصة بعمل المشتقات تبين لنا ملاحظة ذات أهمية كبرى ، وهي أن هناك كثيرا من الشواهد الخاصة بصيغة المبالغة تأتي صيغة المبالغة في أول البيت ، فيضطر النحويون تأويل مبتدأ محذوف . ولنذكر مثالين تدليلا على ذلك : قول أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم يرثي أمية بن المغيرة المخزومي :

---

(١) شرح قطر الندى ص ٢٧٣ وهناك خلاف حول هذا البيت لا داعي لذكره .

ضروب بنصل السيف سوق سمانها   اذا عدموا زادا فانك عاقـر[1]

فكلمة (ضروب) مبالغة معمولها (سوق) جاءت فى أول البيت وعملت عمل الفعـل ، وقال النحـويون انها خبر لمبتـدأ محـذوف تقديره هـو .

وقول أبان بن عبد الحميد اللاحقى :

حـذر أمورا لا تضير وآمن   ما ليس منجيـه من الأقـدار

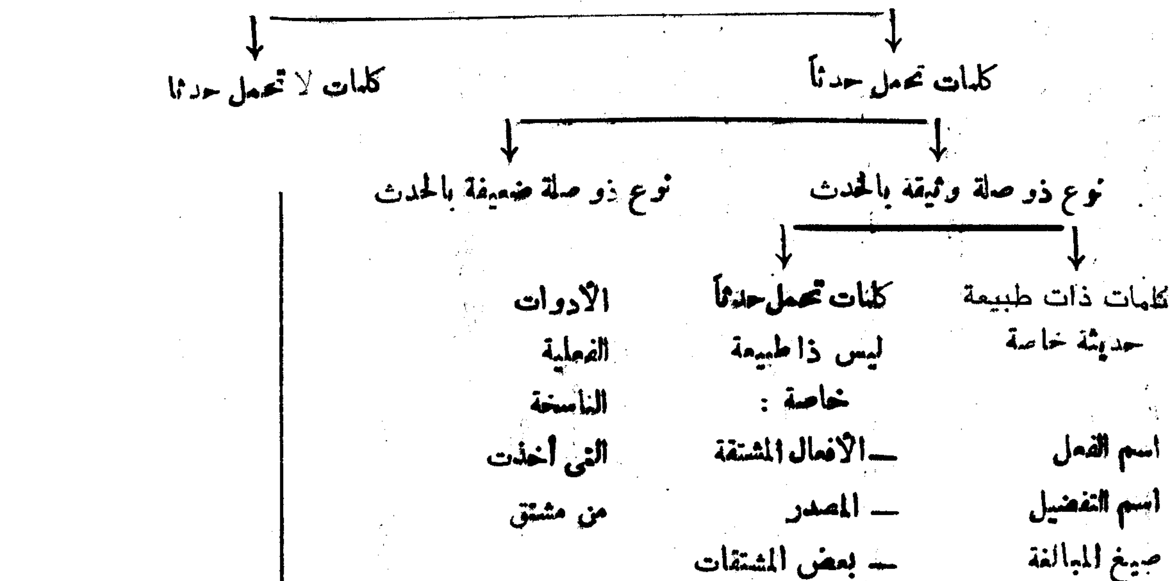
فكلمة (حـذر) مبالغة وهى تكثير لحاذر يعمل عمل الفعل جاءت فى أول البيت وعملت عمل الفعل ، وقـدر النحويون لهـا مبتدأ محذوفا تقديره هو ، مع ملاحظة أن كلمتى (ضروب) و (حذر) ليس لهمـا الا هذا الاعراب أنهما خبران ليس الا ، ولو كانا فى موقع المبتدأ لكانا مبتدأين . ثم ما هو السر فى كثرة الشواهد مع صيغ المبالغة والتى لم يتحقق فيها شرط الاعتماد ظاهرا عن بقيـة الشواهد التى اعتمدت على شرط الاعتماد ظاهرا دون تقدير .

ونستطيع أن تتعرف على الكلمات وعلاقتها بالحدث من خـلال الجدول التـالى :

---

(١) البيت من بحر الطويل (سـوق) جمع سـاق .

الحدث والكلمات



الصيغ بين الجمود والاشتقاق والمعانى الحدثية :

لاحظ بعض النحاة العلاقة بين جمود بعض الكلمات وخلوها من الحدث واشتقاق بعضها الآخر واقترانها بالحدث ، فعقدوا ترابطا حميما بين التصرف والحدث من ناحية ، والجمود مع سلب الحدث من ناحية أخرى يقول الدكتور كمال ابراهيم البدرى : « وقد ربط بعض النحاة بين التصرف ودلالة الحدث ، فالفعل المتصرف يفيد الحدث وغير المتصرف لا يفيد ، وقالوا بأن المسألة مطردة ، فجمود الفعل يسلبه صفة الحدوث »(١) .

ومثل لذلك بأفعال المدح والذم « وما جرى مجراهما من أفعال حولت لباب (فعل) بضم العين لتؤدى الغرض نفسه وهو انشاء المدح أو الذم نحو كرم زيد رجلا وعلم الرجل زيد »(٢) .

والحق ان صح هذا الكلام فى نعم وبئس وليس ... فان ذلك لا يستقيم مع الأفعال التى جاءت على وزن (فعل) لافادة المدح أو الذم فحينما أقول : كرم زيد رجلا ، فان الفعل كرم مع جموده يفيد المدح ويفيد المبالغة فى الكرم مع استمراره وفى ذلك حدث اتصف به الممدوح وهو الكرم ، وهو مصدر الحدث المطلق . أما مع نعم وبئس فليس هناك حدث اتصف به الموصوف ، بل ان الكلمة نفسها تدل على المدح أو الذم مطلقا دون أن يكون هناك حدث معين اتصف به الممدوح ولهذا يحتاج الكلام الى تمييز مثل :

- نعم الوفاء سلوكا .
- بئس النفاق سلوكا .

فبئس ونعم كلمتان دلتا على المدح المطلق أو الذم المطلق دون حدث معين .

---

(١) الزمن فى النحو العربى ص ٤٨
(٢) المصدر السابق .

ولهذا يستقيم الجمود مع عدم وجود حدث فى بعض الكلمات ، ولا يستقيم مع البعض الآخر مثـــل : فهم • شرف • ضرب • خبث • كرم ••• الخ من هذه الأفعال التى تحولت الى صـــيغ جامدة لافادة المدح أو الذم مع مراعاة الحـــدث الكامن فى جوهر الكلمة قبل تحويلها الى هذه الصيغة •

كما أنه ليس شرطا أن تكون الكلمة المشتقة التى جاءت على هيكل الفعل محتوية على حدث • فالفعل (كاد) المـــاضى يأتى منه المضـــارع كما فى قوله تعالى[1] : « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » وقيل ان اسم الفاعل يأتى منهـــا أيضا كما ورد فى قول الشاعر :

أموت أسى يوم الرجام وانني   يقينـــا لرهن بالذى أنـــا كائد[2]

فقد جاء من الفعل كاد اسم الفاعل (كائد) بمعنى مقارب وتقدير العبارة كما قال النحويون أنا كائد آتيه ومه ذلك لا يحتوى على حدث •

والحق أننا لابد أن نفرق بين نوعين من الجمود :

١ ـــ الجمود الصيغى •

٢ ـــ الجمود الأسلوبى •

أما الجمود الصيغى فيوجد منذ بادىء الأمر فى الصيغة ، ولهـــذا لا تصرف فيهـــا من قريب أو بعيد ، وهذا الجمود جمود ثابت ، فلا تصرف فى الصـــيغة •

وهذا النوع من الكلمات لا حدث فيه على الاطـــلاق ، فهى كلمات جامدة فى معناها بمعنى أنها لا تصرف دلاليا فيها ، وكذلك جامدة فى

---

(١) سورة النور ـــ آية : ٣٥

(٢) الرجام : اسم موضع . شرح الصبان ١/٢٦٥ ، وشرح الاشمونى ١/٢٦٥

لفظها فلا يشتق منها اسم فاعل أو اسم مفعول ... الخ . وذلك مثل : نعم وبئس وليس وكرب وطفق واخلولق وحرى وماخلا وماعدا وماحاشا ... الخ ، وان اتفق بعضها مع كلمات أخرى فى الجذر اللغوى مثل نعم التى للمدح والفعل نعم (بكسر العين) ينعم ومنه العيش الناعم والنعيم . قال تعالى : « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية »[١] ومثل : فلان يعيش منعما ... الخ .

والحق أن معنى النعيم لا يعنى بالضرورة المدح فيمكن أن يقال : فلان يعيش حياة ناعمة منعمة لكنه مكروه من الفقراء . ولا تعارض بين المعنيين . فلو أنه كان ممدوحا فى المعنى الأول لم يكن مكروها فى المعنى الثانى فدل على أن معنى (ناعم ، منعم) لا يعنى بالضرورة المدح . وكذلك الفعل (بئس) و (بؤس) قال تعالى : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس »[٢] وفلان بائس ومبتئس ... الخ . فنحن نقول : فلان مبتئس ندعو الله أن يفك كربته . ولا تناقض بين معنى الابتئاس والدعوة بفك كربته ، فلو كان الابتئاس هنا ذما لم يكن هناك داع للدعوة له أن يفك الله كربته . فمعنى المدح أو الذم وجد مع هذه الأفعال الجامدة . ولهذا فارق الفعل الدلالة على الحدث والزمن معا ، فالحدث وان حاولنا لمحه لا نجده من خلال دلالة الفعل على الوصف فدلالة الوصف طغت على معنى الحدث فى مثل هذه الأفعال .

أما (ليس) فهى كلمة تدل على النفى وليس بينها وبين طبيعة الفعل علاقة من حيث اللفظ أو المعنى فليس فى اللفظ ما يدل على فعليته الا قبوله تاء المتكلم وتاء التأنيث وكونه على ثلاثة أحرف مفتوحا آخرها وهى علامات شكلية كلها لا تثبت له فعلية لعدم وجود حدث به فهو أداة ، وهو مما يبعده عن الفعلية جوهرا ، وسكون وسطه يبعده عن الفعلية شكلا وهو من وجهة نظر ابن يعيش فعل يقول عنه

---

(٢) الفاشية : ٨ ، ٩

(١) الأعراف : ١٦٤

« وجب أن لا يخرج عن أبنية الأفعال »[1] ويفترض أصلا للفعل حين يقول : « قلنا ان أصله ليس على فعل بكسر العين ، فيكون من قبيل صيد البعير اذا رفع رأسه من داء ، وكان قياسه أن تقلب الياء فيه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على حد باع وسار الا أنهم لما لم يريدوا تصرف الكلمة أبقوها على حالها ثم خففوها بالاسكان على حد قولهم فى كتف كتف ، وفى فخذ فخذ وألزموها التخفيف لعدم تصرفها ولزوم حالة واحدة »[2] .

والحق أن ابن يعيش كان يفترض شيئا خياليا لا يقوى أمام التساؤلين التاليين :

١ ـ أين الحدث الكامن فى العمل ؟ فالفعل لابد من أن يدل على حدث اذا كان فعلا حقيقة .

٢ ـ ما هو سبب التخفيف ؟ فكلمتا فخذ وكتف خففتا بسبب التنوين الذى يثقلهما مع ضم أو كسر آخرهما . أما (ليس) فليس فيها ما يثقلها لكى يخفف وسطها بالتسكين ، بل حسب قواعد التخفيف التى ذكرتها فى رسالتى للدكتوراه ان الكسر مع الياء يمكن اللسان من نطق الكلمة بشكل لا يدعو الى الثقل وهى بذلك تكون أخف من ليس ؛ حيث لا يتمكن اللسان من ضغطة نطقية على الياء الساكنة .

وبهذا ثبت أن كلمة (ليس) أداة للنفى وليست فعلا . وكذلك كلمة « عسى » وليست هذه الكلمات أفعالا بسبب عدم وجود الحدث ولكنها أدوات لها عمل خاص . والدليل على ذلك ما ورد عند ابن يعيش فى كلمة نعم الذى بعدها هو فعلا جامدا . فلو أننا اعتبرناه فعلا جامدا لازما لكانت الجملة مفيدة بوجود نعم والفاعل بعدها لأن هذه هى طبيعة الفعل اللازم مثل : نعم محمد ، لكن

---

(١) شرح المفصل ١١٢/٧

(٢) شرح المفصل ١١٢/٧

ابن يعيش يقول « ولو قلت نعم زيد لم يكن فى اللفظ ما يدل على المعنى الذى استحق به زيد المدح ، لأن لفظ نعم لا يختص بنوع من المدح دون نوع ، ولفظ زيد أيضا لا يدل اذا كان اسما علما وضع للتفرقة بينه وبين غيره فأسند الى اسم الجنس ليدل على أنه ممدوح أو مذموم فى نوع من الأنواع »[1] .

ونستطيع أن نقارن بين معنى كل من الجملتين التاليتين :

ـ جاء محمد .

ـ نعم محمد .

فالأولى تعطى دلالة واضحة ومعنى واضحا نستطيع أن نقف عليه . أما الجملة الثانية فتعطى معنى المدح دون دلالة على المعنى الذى استحق به محمد المدح ، كما أشار الى ذلك ابن يعيش فى نصه السابق كما لو قلنا :

ـ كان محمد .

ولذا يتضح المعنى حين نقول نعم محمد رجلا . أو كان محمد موجودا ... الخ .

فالكلمة (نعم) هنا أصبحت أداة تفيد المدح مثل (كان) التى هى أداة ناسخة تفيد الزمان فقط ، ولا يعنى أن يطلق عليها النحويون (فعلا) وهى تحمل حدثا ، لأنهم يفرقون بذلك بين الأداة الحرفية مثل : لم . لن . لا ... الخ . والأداة الفعلية مثل : كان وأخواتها ، وكاد وأخواتها ، وما خلا وما عدا وما حاشا ... الخ . فهم لا يقولون بأنها فعل لأنها تحمل حدثا وزمنا ، بل لأنها جاءت على هيكل الفعل والا فأخبرنى بالله عليك أى حدث فى كلمة عسى . ليس .

---

(١) شرح المفصل ٧/١٣٠ ، ١٣١

ما عــدا • ما خلا • ما حاشــا • بئس • كل هــذا يؤكد أن هــذه الكلمــات أطلق عليها النحاة أفعالا مع تجاوز واضح لمعنى الفعل •

ثانيـا ــ الجمود الأســلوبى :

ويعنى هــذا النوع من الجمود عدم القدرة على التصرف فى شكل الصيغة التى آلت اليه • وهــذا النوع من الجمود (جمود طارىء) وهو عكس النوع الســابق وهو الجمود الثابت ، ويتمثل هذا النوع من الجمود الطارىء فيما يلى :

١ ــ جملة المدح والذم التى جاءت عن طريق الفعل الذى صيغ على وزن (فعل) بضــم العين من فعــل ثلاثى متصرف تام عن طريق القياس مثل : علم من الفعل (علم) ويفيد المدح لكثرة العلم ، و (فهم) من الفعل (فهم) ويفيد المدح لكثرة الفهم وكذلك (ضرب) يفيد الذم لكثرة الضرب والمبالغــة فيــه ، وهــذا النوع من الأفعال يتحول من المتصرف الى الجامد فى جملته الجديدة ، فلا نستطيع أن نأتى باسم الفاعل من هــذه الأفعــال مع المحافظة على معنى المدح أو الذم ، لأن الفعل فى هــذه الحالة يحمل شــكلا معينا ومعنى معينــا فلو تحول الى شكل آخر لعــاد الى معناه الأســاسى ، والحــق ان الحدث لم يفارق هذا النوع من الأفعــال بل يلمح فيــه الحدث وهو الذى يمدح من أجله أو يذم من أجله فالفعــل (فهم) لا يبعد عنه معنى الفهم ، والفعــل (علم) لا يبعد عنــه معنى العلم ، وكذلك الفعل (ضرب) لا يبعــد عنه معنى الضرب • بل ان كل ما فى الأمر أن معنى المدح أو الذم دخــل الصيغة من أجل الكثرة والمبالغة التى اتصف بها الموصوف بالمعنى •

أما الأفعال التى جاءت على وزن (فعــل) منذ بادىء الأمر مثل : فســق ، خبث ، شرف ، كرم • فأنا أعتقد أنها تحمل معنى يشير الى مدحــه أو ذمه لا لشىء خارجه ، بل لطبيعة المعنى ، وهذا المعنى يتصف به الممدوح أو المذموم دون تغيير فى شــكل الصيغة • فهذه الأفعــال لازمة تفيــد الوصف ولهذا لا تختلف فى طبيعتها عن المدح أو الذم فقط

أو عند المدح أو الذم المقترنين بالوصف . فكلا المعنيين يوجدان بصيغة واحدة وعلى شكل جملة واحدة . ولهذا يظل الحدث مستمرا مع الفعل دون تخلف عنه كبقية الأفعال التى تغير شكلها حين ضم عينها ، وعلى هذا يكون هذان النوعان من الأفعال مرتبطين بالحدث اضافة الى معنى المدح أو الذم ، والدليل على ذلك أننا نبحث عن الفاعل ، أى فاعل الحدث الكامن فى الفعل وهذا عكس الأفعال الجامدة جمودا ثابتا كما فى ليس وعسى . واخلولق . كرب. وطفق ... الخ ، فاننا نبحث عن اسمها وخبرها ، كذلك عكس الأفعال المتصرفة التى تستخدم أدوات لتحديد هيئة الجملة مثل كان وأخواتها أو كاد فنبحث أيضا عن اسمها وخبرها الا اذا تضمنت معنى فعل حدثى فنبحث لها عن الفاعل فى هذه اللحظة مثل كان التامة فى مثل قوله تعالى : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة »(١) وكان هنا بمعنى (وجد) ، مثل : كان الله ولم يكن شيء قبله بمعنى وجد الله ولم يوجد شيء قبله ، ففى هذه الحالة نبحث عن الفاعل لأن كان أعطت دلالة أخرى أو تضمنت معنى آخر .

وهذا أيضا مخالف لنعم وبئس التى طغى المدح والذم عليهما فتحولتا من التصرف (نعم) بكسر العين و (بئس) بفتح الأول وكسر الثانى — الى الجمود ، والدليل أيضا أننا نبحث فى جملة المدح أو الذم عن الفاعل بالرغم من عدم وجود حدث ، وذلك مراعاة لأصل الفعلين قبل طغيان معنى المدح والذم عليهما .

٢ — صيغتا التعجب :

وهما من الجمل الجامدة جمودا أسلوبيا . فعند ارادة التعجب تظل الجملة على شكلها القياسى فلا تتغير عن الوضع التى آلت اليه . ويبرز معنى التعجب ولا يزايل الفعل معنى الحدث الأصلي :

---

(١) البقرة : ٢٨٠

وصيغتا التعجب القياسيتين هما :

ما أفعله ـــ أفعل به •

ولا بد من استمرار الجملتين على هذين الوضعين حتى يظل معنى التعجب قائما فى أية جملة تحتوى على معنى التعجب بالاضافة الى معنى الحدث الأصلى الذى طغى عليه المعنى الجديد وهو معنى التعجب •

فحينما أقول : ما أكرم حاتما •

فقد تعجبت من « كرم » حاتم ، فالكرم هو الحدث الأصلى فى معنى الجملة لكن معنى التعجب من هذا الكرم جاء وطغى عليه فأخفاه بعض الشيء ، وكل من يقرأ هذه الجملة يلفت نظره معنى التعجب مباشرة لوجود الجملة على هذا الشكل • لكن الملاحظ أن الجملة لم يزايلها معنى الكرم وهو الحدث الأصلى فى الجملة •

كذلك لو قلنا : أكرم بمحمد •

فالجملة تفيد التعجب مع وجود الحدث الأصلى فى معنى الجملة وهو الكرم •

كذلك لو قلنا : ما أجمل الطبيعة أو أجمل بالطبيعة •

فالجمال قائم فى الحالتين وجاء معنى التعجب وطغى على المعنى الأصلى فأصبح التعجب من جمال الطبيعة أقوى من وصف الطبيعة بالجمال •

ويمكن أن يطلق على ذلك (طغيان المعنى) وهو أمر مألوف فى اللغة • فحينما طغى معنى المدح على الفعل نعم فقد ثبت لفظ الفعل على شكل معين وتحول من التصرف الى الجمود كما قلنا من قبل ، وكذلك

مع الأفعال التى تحولت على وزن فعل بضم العين لافادة المدح أو الذم مثل : علم • فهم ••• الخ • فقد وجدنا الفعل يتحول من التصرف الى الجمود ، كذلك حينما تحولت الجملة داخل نسـق معين من معنى الوصف الى معنى التعجب تحول الفعل فى جملته من التصرف الى الجمود •

ومن النحاة القدامى الذين ربطوا بين التصرف والحدث أبو بكر الزبيدى فقد نقل عنه قوله « أما الأفعال التى لا تتصرف فهى التى لم تؤخـذ من الحـدث ولا يكون فيها اسـم فاعل ولا مضارع »[1] وبهـذا الربط يكون نعم وبئس فى استعمال المدح والذم فعلين لا يتصرفان لخروجهما عن الأصل فى الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان فأشبها الحرف»[2]

والحقيقة التى يقرها جميع النحاة هى أن المعنى الصرفى للأفعال هى الدلالة على الحدث والزمن معـا ، ولذلك يكون معنى الحـدث والزمن (معـا) هما معنى الفعل ويكون معنى الحدث أو الزمن هو جزء من معنى الصيغة الفعليـة ، بل ان الحـدث هو المعنى البارز الذى تتمحور حـوله الجملة وليس الزمن بدليـل تغير زمن الفعل لطبيعتـه التى لم تتغير عنـد تنوع التراكيب ودخول أداة تفيـد تغيره الزمنى • بل ان بعض الأدوات تحـول المضـارع الى ماض ، والمضـارع على صيغته التى لم تتغير مثل (لم) ، وبعض الأدوات تعطى للماضى صـورة المستقبل البعيد الذى يمكن أن يتحقق أو لا مثل (اذا) • أما الحدث فلا يتغير ، فهو واحد للفعل فى كل التراكيب ويحتاج الى توجيهه فقط عن طريق تغيير الصيغة من ماض الى مضارع الى أمر أو تحوير هيئـة الحـدث على شكل معين ، بحيث يضاف الى جملته شىء يوجهه الى وجهة معينـة •

---

(١) نقلا عن كتاب الزمن فى النحو العربى ص ٤٨
(٢) حاشية الصبان ٢٦/١ وقد أشار الى أن الشاطبى أقر ذلك . وانظر ابن يعيش فى شرح المفصل ١١٢/٧

ولهذا لسنا مع من يذهب الى أن جوهر الفعل ليس الحدث ، بل هو الزمن يقول د. مالك يوسف المطلبى « ان أهم ميزة يختص بها الفعل تبعا لهذا ليست مادته فهذه مسألة وجدت فى المصدر ، بل ان ميزته تكمن فى أنه يعبر عن الزمن . فجوهر الفعل الزمن »[1] .

والحق أن هذا الكلام تنقصه الدقة والاحكام لما يأتى :

أولا — لو كان جوهر الفعل هو الزمن ، كما قال الباحث ، لاستطعنا أن نحكم على الألفاظ الدالة على الزمن المطلق بأنها أفعال ، اذ هى ألفاظ زمنية بحتة مثل : ساعة — يوم — سنة — عام — دقيقة — دهر ... الخ.

وبما أن هذه الكلمات يحكم عليها بأنها أسماء لا أفعال فلن يكون جوهر الفعل هو الزمن وحده .

ثانيا — يقول الباحث ان أهم ميزة يختص بها الفعل ليست مادته فهذه مسألة وجدت فى المصدر ، ولو كان ذلك صحيحا لاستطعنا أن نحكم على المصدر حينما يكون فى تركيب دال على الزمن بأنه فعل مثل : السفر غدا فالحدث موجود والزمن موجود ، لكن المصدر لا يكون فعلا مع وجود الزمن داخل التركيب .

بناء على ما مضى نستطيع أن نقول ان الحدث والزمن يقفان على قدم المساواة فى معنى الفعل ، وأنهما وجهان لعملة واحدة ، ولا نستطيع أن نفصل بينهما عند التحدث عن دلالة الفعل ، ولو حاولنا أن نرى أيهم أكثر ظهورا فى معنى الفعل سنجده الحدث الثابت ، فالزمن متغير كما قلنا وينبغى الكشف عن امكانات تلك الصيغة التى يعد الزمن واحدا منها ، فليس صحيحا أن نبحث عن عنصر واحد داخل بنية ما ، غاضين النظر عما يجاوره من عناصر أخرى .

وعلى هذا يتحول المصدر (اسم الحدث) الى فعل عن طريق تغيير

---

(1) الزمن واللغة ص ٢٦

البنـــاء بحيث ينضام الزمن الى الحدث معا ليكون الفعل ، وهذا التغيير فى البنية من اسم الحدث الى الفعل يتم فى اطار قانون يحكمه للوصول الى الصيغة الفعلية ، بل أن هناك من الباحثين من يشير الى أن دلالة الفعل على الزمن دلالة ضمنية يقول الدكتور فاضل مصطفى الساقى[1] :

« ان المعنى الصرفى للأفعال بشكل عام هو الدلالة على الحـدث والزمن معـا ، ودلالة الفعل دلالة ضمنية ، ومعنى الزمن أو الحدث هو جزء من معنى الصيغة الفعلية ، وهما بلا شك وظيفتا الفعل الصرفية ».

معنى ذلك أن الحدث لا يمكن اهماله بأى حال من الأحوال فى معنى الفعل . صحيح أن الحدث يمكن أن يوجد فى الاسم ، لكن الحدث فى الاسم يرتبط بصيغة معينة وكذلك لا يرتبط بزمن صرفى من خلال الصيغة ، بل من خلال السياق ، أما الحدث فى الفعل فهو موجود فى كل الصيغ دون استثناء .

وفى نهاية الأمر نستطيع أن نخرج بأن الصيغ التى تحتوى على حدث لا تتساوى فى دلالتها من حيث قوة الحدث أو ضعفه ، واعماله أو اهماله وأن العلاقة ضعيفة بين الجمود وخلو الكلمة من الحدث ، والاشـــتقاق واحتواء الكلمة على حدث ، وأن طغيان معنى على معنى له دور كبير فى جمود الكلمة ســواء كان الجمود صيغيا أو أسلوبيا .

(١) أقسام الكلام العربى ص ٢٠٤

مصـــادر البحث ومراجعـه

١ ـ أقسام الكلام العربى بين الشكل والوظيفة ـ د. مصطفى فاضل الساقى ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٧ م .

٢ ـ حاشية الصـبان على شرح الأشمونى على الألفية ـ مطبعـة عيسى الحلبى (بدون تاريخ) .

٣ ـ الزمن فى النحو العربى ـ د. كمال ابراهيم البدرى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار أمية للنشر ـ الرياض .

٤ ـ الزمن واللغــة ـ د. مالك يوسف المطلبى ـ الهيئـة المصرية العامة للكتــاب ١٩٨٦ م .

٥ ـ شرح ابن عقيل على الألفية ـ الادارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٦ ـ شرح الأشمونى على الألفيــة ـ مطبعة عيسى الحلبى (بدون تاريخ) .

٧ ـ شرح شذور الذهب لابن هشام ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ المركز الاسلامى للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ، الطبعة ١٥ .

٨ ـ شرح شواهد العينى ـ مطبعة عيسى الحلبى (بدون تاريخ) .

٩ ـ شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ـ تحقيق : محمـد محى الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية (بدون تاريخ) .

١٠ ـ شرح المفصــل لابن يعيش ـ ادارة الطباعة المنيرية بمصر (بدون تاريخ) .

١١ ـ الكتاب ـ سيبويه ـ تحقيق : عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .